

النكتة السياسية في ميزان حرية التعبير عن الرأي

Political humor in the balance of freedom of expression

أ.د/ حنان محمد القيسي*

الجامعة المستنصرية / العراق

Dr.hanan_alqaisi@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/25-تاريخ القبول: 2020/12/28-تاريخ النشر: 2021/06/20

الملخص:

لعبت النكتة السياسية دوراً مهماً في حياة الانسان، وهي أحد أشكال النقد المستمر، في الخفاء أو في العلن، فهي المعبر الحي/ الساخر عن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي سلاح قوي للأغلبية المُستضعفة بوجه الظلم والاستبداد والقهر والتفاوت الطبقي والقمع والعنف ومصادرة الحريات والتضييق على الرأي. و تلجأ الشعوب للنكتة السياسية لمواجهة الكبت المجتمعي والقمع السياسي والأوضاع الاقتصادية الصعبة، ولعل القرن الحادي والعشرين شهد ازدياداً واضحاً في صناعة النكتة السياسية وتداولها، ولعل من أهم أسباب ذلك التطورات التقنية وثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال الحديثة، التي أدت إلى الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي وظهور المواطن الصحفي.

ويثير هذا البحث جملة من التساؤلات العامة المهمة، فما هي مبررات النكتة السياسية؟ ومن هو المستفيد من اطلاقها وتداولها؟ وما هو تأثير النكتة السياسية على النظام السياسي نفسه، ومن ثم على مساحة الحرية التي يتمتع بها الفرد؟ وبالذات حريته في التعبير عن الرأي؟

الكلمات المفتاحية: نكتة سياسية؛ نظام سياسي؛ حرية التعبير عن الرأي؛ الدستور؛ المواطن الصحفي.

Abstract:

Political jokes have played an effective role in human life, and it is a form of continuous criticism, whether in hidden or in public. It may considered as a live / cynical expression of people's social, economic and political Circumstances.

It is –also- a powerful weapon in the hands vulnerable majority in the face of political regimes' injustice, tyranny, oppression, class inequality, oppression, violence, confiscation of freedoms and restrictions on opinion. Peoples resort to political joke to confront societal repression, political oppression, and difficult economic situations. We may say that the twenty-first century witnessed a clear increase in the manufacture and circulation of political joke, and perhaps the most important reasons for this are technical developments and the revolution of information and modern means of communication, which led to an increased use of social networking sites and the emergence of citizen journalism. This research raises a number of important questions, such as what are the justifications for the political joke? Who is the beneficiary of its launch and circulation? What is the effect of political jokes on the political system itself, and then on the space of freedom an individual enjoys? In particular his freedom to express opinion?

Keywords: Political joke; Political system; Freedom of expression; the Constitution; Citizen Journalist

مقدمة

هل سمعت آخر نكتة؟ نعلم أنك ستجيب بـ "لا" ومن ثم تصعد إلى محياك ابتسامة مشوبة بالانتظار والتلهف لسماعها، حتى وإن كنت قد سمعت آخر نكتة قبل لحظات.

هل سمعت آخر نكتة؟ سؤال يستفز كل خلاياك الحسية ويجعلك تتشوق لسماعها مستنفراً كل قدراتك للإحساس بلذة خفية عارمة وأنت تتهياً لمفاجأة ظريفة. وتلك حالة عفوية يخلفها فيك الشعور الداخلي الذي لا يستطيع أن يقاوم، رغبة الاستماع إلى نكتة جديدة. ما لم تكن من صنف نيوتن الذي قيل إنه ضحك مرة واحدة في حياته، أو ستالين الذي ما كان يضحك إلا نادراً، أو رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارغريت تاتشر.

عشرات النكت تبتر يومياً على الألسنة، تتناثر على المسامع بأشكالها المختلفة وتتناول الأحداث والوقائع والأشخاص أيضاً، اسماً ومسمى. فلا تدع النكتة رجال السياسة ولا رجال الدين ولا عموم الناس، تطال الأغنياء والفقراء، الأغبياء والأذكياء، الصالحين والطالحين، الطيبين والأشرار، وقد تنتقل من عصر إلى عصر لنفس الغاية ونفس الأسباب، فهناك نكت أطلقت على القادة العرب والحكام المستبدين، كما أن هنالك نكتاً أطلقت على هتلر وموسوليني وستالين، وهي نفسها التي ظهرت في لغات أخرى بعد اقتباسها لجعل أبطالها من طغاة البلاد والمستبدين.

ونعتقد أن ليس هنالك شعب على وجه الأرض -بصرف النظر عن مستواه الاقتصادي ونمطه الثقافي ونظامه السياسي ودرجة احترام حرية التعبير والرأي فيه -لا يضحك من نفسه أو أنه لا يحب الضحك وتعاطي النكتة، تأليفاً ونقلاً وأداءً، للتنفيس عن مكبوتاته، إذ تؤكد لنا العلوم الاجتماعية أن غالبية الشعوب إن لم نقل كلها تمتلك في حياتها هامشاً، حتى أن كان ضيقاً ومحدوداً

للضحك، وإلا افتقدت سمة إنسانية مهمة لا يمكن العيش بدونها. كما أكدت أكثر من دراسة علمية أنه من الممكن معرفة تاريخ البلد عن طريق الاطلاع على النكت الرائجة فيه، سيما التي تخص قاداته وشعبه وأحداثه.

النكتة بدأت مع الإنسان، فلم تكن وليدة عصر معين، إنها موجودة حيث وجد الإنسان، ولها تاريخ طويل عريض، فأقدم نكتة مدونة تم العثور عليها على ورق بردي فرعوني، إذ يعود تاريخها إلى سنة 3200 قبل الميلاد (أي منذ 5208 سنة خلت)، وتقول هذه النكتة: كان أحد الكتبة يعمل في غرفة بمعبد "تحت" فأزعجته الجلبة المنبعثة من الغرفتين اللتين تحيطان بغرفته، وكان يقيم في إحدهما نجاراً وفي الأخرى حداد، ولما أوشك أن يُجن من الضوضاء قصد النجار ودفع إليه مبلغاً من المال لكي يغادر غرفته إلى غرفة أخرى، ثم فعل ذلك مع الحداد، وقبل الرجلان، وفي اليوم الموالي انتقل الحداد إلى غرفة النجار وانتقل النجار إلى غرفة الحداد وظل الوضع على ما هو عليه ولم يتغير شيء.

والمسلمين والعرب في مختلف عصورهم لم يهملوا النكتة والطرائف ونوادير الكلام تداولوا وتألّيفاً، فالمكتبة العربية تزخر بالكثير من كتب التراث، مثل كتاب الجاحظ الشهير "البخلاء"، وتميز عدد من العلماء بالدعابة والحكمة في الرد على التساؤلات والتعامل مع بعض المواقف. ومما يذكر في هذا الصدد سؤال أحدهم للإمام الشُّعبي: "ماذا كانت تسمى زوجة إبليس؟ فكان رده: ذلك عرس لم نشهده."

أولاً: أهمية البحث: ظلت النكتة على مدى العصور حاضرة تعيش مع الناس وتعبّر عن ظروفهم الاجتماعية والسياسية، ومع توالي السنين وتعدد الحياة لعبت النكتة دوراً فاعلاً في حياة الإنسان، معبرة عن تفاعله مع الأحداث، فصار بحاجة إلى تطهير نفسه والتنفيس عن همومه التي تتكاثر من حيث يدري ولا يدري. ولعل القرن الحادي والعشرين شهد ازدياداً واضحاً في صناعة النكتة

السياسية وتداولها، ولعل من أهم أسباب ذلك التطورات التقنية وثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال، لذا بات من المهم البحث في تأثيراتها من الناحية القانونية.

ثانياً: مشكلة البحث: تُعد النكتة، والسياسية بوجه خاص، سلاح قوي للأغلبية المُستضعفة بوجه الظلم والاستبداد والقهر والتفاوت الطبقي والقمع والعنف ومصادرة الحريات والتضييق على الرأي، ومن ثم يثير هذا البحث جملة من التساؤلات العامة المهمة، فما هي مبررات النكتة السياسية؟ ومن هو المستفيد من اطلاقها وتداولها؟ كما يحاول البحث اثاره بعضاً من المشاكل القانونية، فإذا كان من شأن دراسة النكتة السياسية أن تكشف لنا عن أهم تطورات المجتمع ورغباته وانتقاداته، ونوعية التفاعل والعلاقات التي تربط المواطن بسلطات الدولة المختلفة، فما هو تأثير النكتة السياسية على النظام السياسي نفسه، ومن ثم على مساحة الحرية التي يتمتع بها الفرد؟ وبالذات حرته في التعبير عن الرأي؟ وهل تنطلق النكتة السياسية أفقياً إلى مالا نهاية أم ستعود للدوران بحلقة جديدة بعد التغيرات الاجتماعية والسياسية؟ وهل هي محور في تغيير الواقع السياسي أم رغبة في نقده وحسب؟

ثالثاً: خطة البحث: سنتناول دراسة النكتة السياسية على وفق الخطة الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالنكتة السياسية.

المطلب الثاني: نطاق حرية التعبير عن الرأي من خلال النكتة السياسية

المطلب الأول: التعريف بالنكتة السياسية

تعد النكات -سياسية كانت ام غيرها -ظاهرة إنسانية لم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا ولا مسته، تجاوزت الخطوط الحمراء وخصوصاً وقت الأزمات وهي تعبر عن ثقافة أمة، وتعطي مؤشراً عن حريتها ومدى ديمقراطيتها، لذا نرى

أنه للتعريف بالنكتة السياسية، لابد من بيان مفهومها لغة واصطلاحاً، ثم بيان الوظائف الأساسية للنكتة السياسية، وكما يأتي بيانه:

الفرع الأول: مفهوم النكتة السياسية

من المستغرب أنه على الرغم من كثرة تعريفات النكتة، إلا أنه ليس هنالك من تعريف محدد لها. ومن مراجعة بعضاً من معاجم اللغة العربية وجدنا أن الفعل (نكت) يحمل الكثير من المعاني مثل: نكت - نكتنا الأرض: ضرب فيها بقضيب أو أصبع أو نحو ذلك فأثر طرفه فيها. والنكت: كل نقط في شيء خالف لونه. والنكتة: النقطة تخالف لون ما هي فيه.⁽¹⁾

وقيل أيضاً النكت: أن تنكت في الأرض بقضيب، أي تضرب بقضيب فتؤثر فيها.⁽²⁾ ونكت: أن تُضربَ في الأرض بقضيب فيؤثر فيها، وأن ينبو الفرس، وناكت: أن ينحرف مرفق البعير حتى يقع على الجنب فيخرقه. ونكتة: النقطة، والجمع نكات، ونكات: الطعان في الناس.⁽³⁾ ونكتت تنكيتاً، في قوله جاء بالنكت، عليه: أي عابه، أما النكتة: فهي الكلام اللطيف أو المضحك الذي يؤثر في النفس انشراحاً، وجمعه نكت ونكات.⁽⁴⁾

أما في قاموس أكسفورد للغة الإنكليزية فيراد بكلمة (joke) النكتة أو الاضحوكة، مقلب أو فصل مضحك، شيء أو حادث يثير الضحك كلما ذكر.⁽⁵⁾

¹ - الشيخ احمد رضا، معجم متن اللغة-موسوعة لغوية حديثة، المجلد الخامس، دار مكتبة الحياة بيروت، 1960، ص541.

² - ابي نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص 1167.

³ - مجد الدين الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1647، بند 9396.

⁴ - جبران مسعود، الرائد الصغير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص617.

⁵ - The oxford English – Arabic dictionary, oxford university press, 1972, p. 632.

وجلي إن كلمة نكتة مشتقة من الاسم نكت، ويُعدّ موقع الكلمة وتشكيلها هو المحدد الأساسي لمعناها.

وفي الاصطلاح ظهرت تعريفات عديدة للنكتة، إذ عرف ابن تيمية النكتة بقوله "إنها شيء من قول أو فعل يقصد به غالباً الضحك وإدخال السرور على النفس، ويُنظر في حكمها إلى القصد منها وإلى أسلوبها، فإن كان المقصود بها استهزاء أو تحقير مثلاً، كانت ممنوعة، وإلا فلا، وهي تلتقي مع المزاح في المعنى".⁽⁶⁾ كما تعرف النكتة بأنها تعبري جماهيري يسعى إلى حالة الاسترخاء.⁽⁷⁾ وتعرف النكتة أيضاً بأنها "نقد موجّه نحو شخصية سياسية أو نظام حكم، تصاغ بأسلوب ساخر أو هجاء صريح أو رسالة مشفرة، يتناولها الناس همساً أو يتداولونها جهاراً".⁽⁸⁾

ويُمكن فهم التحولات السياسية التي مر بها المجتمع العراقي من خلال تتبع مسار النكتة السياسية فيه، ففي مراحل معينة من تاريخ العراق لم يعد قول نكتة سياسية أو السخرية من رمز من رموز النظام أمراً مربعاً فقط، بل بات الاستماع إلى النكتة وعدم الوشاية بقائلها، قد يوصل الشخص إلى حبل المشنقة أيضاً، وهذا ما حدث مع عدد من رموز المجتمع مثال ذلك ما حدث عام 1988 للبروفيسور إسماعيل التتار استاذ الأمراض الجلدية في كلية الطب/ جامعة بغداد، الذي حكى نكتة تسخر من رموز سياسية في عراق صدام فتم إعدامه

⁶ - عمريحي احمد-النكتة السياسية وأثرها على الثورات الشعبية -الثورة المصرية دراسة حالة- الحوارالمتمدن-العدد: 4904 - 2015 / 8 / 22، متاح على الرابط الالكتروني:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=481588>

⁷ - د. حامد ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية-حول عملية البناء الفكرية لأصول علم الحركة الاجتماعية، دارالفكر العربي، القاهرة، ص310.

⁸ - د. قاسم حسن صالح، النكتة..وسيلة المكبوتين لقهقر القهقر-تحليل سيكوسوسيولوجي، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://almadpaper.net/view.php?cat=211190>

كما تم إعدام البروفيسور هشام ماهر سلمان أستاذ طب الأطفال في كلية الطب/ جامعة بغداد، لأنه ضحك على نكتة صديقه التتارولم يخبر عنه.⁽⁹⁾

والنكتة قد تكون حادثة واقعية أو وهمية، وقد لا ترتبط أسبابها بنتائجها علاقة منطقية أو متوقعة، مما يترتب على ذلك مفارقة تدعو سامعها إلى الاندهاش والضحك في آن واحد بسبب عنصرى المفاجأة والمفارقة،¹⁰ فهي آلية من آليات الهزل والضحك وهي وسيلة للتنفيس والتعبير عن الاحاسيس والأفكار المحرمة والمكبوتة، إذ بدأ استخدام النكتة كسلاح خطير في صور ذهنية سلبية تُعمّق الخلافات على أساس عرقي وديني ومناطقي، يتم إسقاطها في الأوساط الشعبية وبين الجماهير الناقمة على تردي الأوضاع. ومن هنا يصف الكاتب جورج أورويل النكتة السياسية بأنها (ثورة صغيرة) وذلك لأنها تنشأ في وقت الأزمات.

ما يعني أن طرفي النكتة السياسية هما الشعب من جهة والحكام من جهة أخرى، وأن مضمونها هو طبيعة العلاقة فيما بينهما، وأن فضاءها هو الاماكن المفتوحة في النظام الديمقراطي والاماكن المغلقة في النظام الاستبدادي. ويكون التعبير عنها لا بالجهر ولكن بما يخفى كالترميز والإشارة والإيحاء، أو بتداولها في الأماكن المغلقة والمغلّفة بالحيطه والحذر والخوف والريبة والتوجس واقتناص ضحكة عابرة قد لا تغير من الواقع قيد فتيل.⁽¹¹⁾

فالنكتة السياسية جملة مصاغة بخفة دم ومكر عميق وكوميديا سوداء يُطلقها مجهول، وتنتشر من دون معرفة صاحبها، تجعلك تضحك وتستلقي على

⁹ - صادق الطائي، النكتة السياسية: تحدي الشارع ومخططات النظام، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://www.alquds.co.uk>

¹⁰ - أحمد هيمات - لماذا تلجأ الشعوب الى النكتة السياسية؟ متاح على الرابط الالكتروني:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2017>

¹¹ - أحمد هيمات - لماذا تلجأ الشعوب إلى النكتة السياسية؟ المصدر السابق

ظهرت، ثم تترك تفكر بعمق! هي سلاح الضعيف ضد القوي، سلاح الأقلية ضد الأغلبية. عبارة بسيطة "هي التأثير في السياسة من خلال الفكاهة".

ويشترط في النكتة السياسية المعاصرة تشكيلها مجالاً خاصاً خارج السياسة يسمح للمتلقى بالوعي المستقل، وتشرط وجود هامش من التحرك السياسي الحر للفرد يسمح له بالتفاؤل وبالضحك دليلاً على المقدرة على التعامل مع الواقع بدل الخنوع له، لذا يشترط في النكتة السياسية أن تكون مستمدة من واقع الشعب وتتناول قضية من قضاياها والمشاكل التي يواجهها وأن تكون بلغة الشعب وتصاغ بلغة مبسطة وسهلة، وأن تنتهي بموقف يؤدي إلى الضحك.⁽¹²⁾

ومن الجدير بالذكر أن الفيلسوف الفرنسي "هنري بيرغسون" يرى بأن النكتة لا تنتج إلا بوجود شخصين على الأقل وهنا يكون للمتلقى أثراً في استمرارية حالة الإضحك باستجابته للضحك من الموقف وبدونه تصبح العملية عقيمة، يؤكد بيرغسون بقوله "لا يمكن أن نتذوق النكتة (الهزل) إن شعرنا أننا لوحدنا فالضحك يحتاج إلى الصدى".⁽¹³⁾

فالنكتة هي محاولة قهر القهر، وهتاف الصامتين، إنها نزهة في المقهور والمكبوت والمسكوت عنه، وهي وسيلة التعبير الرئيسية ولسان حال الشعب عندما يعاني من الكبت والقهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهنا تتخذ النكتة شكل محاولة قهر القهر، والضحك "قبل كل شيء تصحيح وإصلاح. لقد وضعت من أجل التخجيل. فيجب أن يشيع في الشخص المضحوك منه إحساساً

¹² - عمر يحيى احمد-النكتة السياسية وأثرها على الثورات الشعبية، المصدر السابق.

¹³ - هنري بيرغسون، الضحك، ترجمة د. علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

بيروت، 2007، ص14.

مُتعباً أن المجتمع ينتقم عن طريق الضحك للحريات التي أخذت منه. ولا يبلغ الضحك هدفه إن هو اتسم بالود وبالطيبة".⁽¹⁴⁾

ويؤكد بيرغسون "أن النكتة تعبر إذاً عن نقص فردي أو جماعي يستدعي التصحيح المباشر. أن الضحك، هو هذا التصحيح بالذات. الضحك هو نوع من الحركة الاجتماعية يبرز أو يجمع نوعاً من السهو الخصوصي عند الأشخاص وفي الأحداث".⁽¹⁵⁾

أما عالم النفس الأشهر سيغموند فرويد فقد ركز على أهمية النكتة، إذ لاحظ فرويد أن كلاً من النكتة والفكاهة هما مثل الأحلام، يُمكن أن يكون لهما علاقة قوية متأصلة باللاوعي واللاشعور. ففي كتابه "النكتة وعلاقتها باللاوعي" إذ ركّز فرويد على أهمية النكتة بالنسبة للإنسان باعتبارها نافذة أو وسيلة "تنفيس" و"تفريغ" للشحنات الانفعالية وضغوطات الحياة المكبوتة. إذ تُصبح النكتة وسيلة تعبير رئيسة ولسان حال الأفراد والشعوب في حالات الكبت السياسي والاجتماعي والاقتصادي.⁽¹⁶⁾ وهنا يمكن تفسير الأمر رجوعاً لفرويد على أنه محاولة مواجهة القهر والكبت بالضحك. فالفكاهة، عند فرويد، هي واحدة من أرقى الإنجازات النفسية للإنسان، خاصة النكتة، لأنها تصدر في تصوره من آلية نفسية دفاعية في مواجهة العالم الخارجي المهدد للذات الداخلية.⁽¹⁷⁾

وقد أسهب فرويد بالحديث عن أنواع النكت، وأثرها العميق وقدرتها على كشف الأفكار الحقيقية للإنسان، فهو يرى أن الإشارات التي تثيرها النكتة، تفتح الأبواب أمام الطاقة الكامنة، التي تنتج بسبب الكبت وتراكم المشاعر السلبية

¹⁴ - هنري بيرغسون، نفس المصدر، ص 127.

¹⁵ - هنري بيرغسون، نفس المصدر، ص 61.

¹⁶ - Sigmund Freud, Jokes and Their Relation to the Unconscious, 1905, online books, p. 130.

¹⁷ - Sigmund Freud, op. cit., p160.

وتسمح لها بالانطلاق والتحرر، ومن ثم الضحك بلا توقّف. ⁽¹⁸⁾ "اننا نُحدث -من خلال النكتة -تأثيراً مضحكاً، أي نفرغ فائضاً من الطاقة في الضحك، ⁽¹⁹⁾ حين نترك هذه الطرائق الأولية تنفذ إلى الشعور". ⁽²⁰⁾ أما في كتابه تفسير الاحلام فيؤكد أن الرمزية ليست خاصة من خواص الاحلام، وإنما لنجدها في أغاني الشعب واساطيره ورواياته المتوارثة وفي التعابير الدارجة والحكم المأثورة والنكات الجارية أكثر مما نجدها في الحلم. ⁽²¹⁾ كما يتضح في التوريات والنكات التي يبتدعها الناس كل يوم لكي يلهموا بها: أن سلطان النكتة لا يعرف حدوداً. ⁽²²⁾

الفرع الثاني: وظائف النكتة السياسية

كانت الأم الشعوب وتقلبات الحكم والسياسة، وما زالت، تُشكل مادة خصبة لفن النكتة السياسية -بل وحتى النكتة الاجتماعية- المتجدد. وإذا كان طرفي النكتة السياسية إثنان -الشعب الذي يرغب بالإفصاح عن غضبه وقهره من خلال الطرفة والفكاهة، والأنظمة السياسية التي تُصنف النكتة من ضمن المهمدات الأمنية والتحديات الصعبة التي تواجهها -فإن النكتة السياسية كالعملة النقدية لها وجهان مختلفان/متناقضان، فقد تعبر النكتة عن غضب

¹⁸ - Sigmund Freud, op. cit., p. 122.

¹⁹ - ويرى البعض ان هدف الضحك الذي تثيره النكتة هو خلع ستار الجدية التي تحيط به السلطة نفسها ويؤدي الى ان تكون موضع الاستهزاء والسخرية، ومن ثم يحدد لها وظائف ثلاث أساسية، وهي: (رفع هالة القدسية عن السلطة وإلغاء العظمة التي تحيط بها، وإزالة بريق الشخصية عن القائد، فضلاً عن وظيفة سلبية بشكلها الأساس ومخرية وليست بناءة او خلاقية)، للمزيد ينظر: جان ماري ديران، التخريب الرمزي للسلطة، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1981، ص71.

²⁰ - سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، المؤلفات الأساسية للتحليل النفسي، دار المعارف، القاهرة، الكتاب بدون سنة نشر، ص589.

²¹ - سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، نفس المصدر، ص 358.

²² - سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، نفس المصدر، ص197.

الشعوب من الفساد والاستبداد ونوع من النضال السلمي ضده، لبساطتها وسهولتها وإمكان ادراكها من جميع الفئات الشعبية، إذ يستطيع كل فرد فهمها حتى وإن لم يكن متعلماً أو له معرفة بالسياسة، فهي تعبر عن آراء ومشاعر ومواقف أصحابها من دون تحديد هوياتهم ومن ثمة عدم تعريضهم للمتابعة والإدانة. كما قد تُعبّر النكتة السياسية على النقيض من ذلك عن التطبيع مع الاستبداد ومساندته وإطالة حياته والتمكين له.

والنكات السياسية متنوعة جداً، وتكاد تغطي مختلف جوانب الحياة فمشاكل العملية السياسية برمتها هي نكات سياسية، ونكات الانتخابات، ونكات الفساد والمحسوبية والمنسوبية، بل وكل ما يتعلق بالجانب الحكومي الرسمي إيجاباً وسلباً هي سياسية أيضاً. وكثيراً ما تكون أحداث النكتة غير حقيقية، لكن المواطن يتخيل أو يشيع حدوثها تعبيراً عما يجول في خاطره.⁽²³⁾ وللنكتة السياسية - على ما تقدم - عديد من الوظائف، منها:

أولاً: التعبير عن الواقع ونقد بعض الظواهر السلبية مثل الفساد والاستبداد:

يُعدّ النقد الوظيفية الأساس للنكتة فهي تنتقد الظواهر السياسية، هيئات وشخصيات، والهدف منها هو التقاط المفارقة،⁽²⁴⁾ وتشخيص مواطن القبح والخلل في العمل المؤسسي يُصاغ بأسلوب فكاهي أو لاذع، يجتذب المتلقي بطريقة محببة تجعله يفكر في الرسالة التي تحملها النكتة ليتأمل نفسه والواقع الذي

²³ - هاني العزيمي، النكتة السياسية، متاح على الموقع الإلكتروني:

<https://www.ammonnews.net/article/21087>

²⁴ - كما لو كان النظام السياسي يدعي إنه اسلامي الا ان قاداته فاسدون، وكما لو ادعى رجل سياسة إنه تقي ولديه بيت دعارة وغيرها من الأمثلة.

يعيشه.⁽²⁵⁾ وبذلك اكتسبت النكتة وظيفة خلاقة، إذ لا يُمكن السيطرة عليها فهي تنتشر بسرعة فائقة، وأحياناً كثيرة يتعامل الكثير من القائمين على أمورنا مع النكتة كميزان حرارة (ترمومتر) لرصد المزاج الشعبي، ومعرفة مستوى وعيه وهنا تكمن الظرفية الخلاقة للنكتة.⁽²⁶⁾ ومن امثلتها أن أحدهم حلم بصدام حسين ميتاً، فوصل الخبر إلى مدير السجن وتم استجوابه وتعذيبه: (اشلون تحلم بالسيد الرئيس ميتاً!)، ولم ينفعه تبريره (أن الذي يموت في الحلم يعني عمره طويل!). كما شاعت في مصر قبل عقود نكتة مفادها أن عبد الناصر تخفى ليتفقد أحوال الناس، فسمع موظفاً يقول لزميله إن راتبه ينفذ بعد اليوم العاشر من الشهر، فسأله زميله: وكيف تعيش باقي أيام الشهر؟ فأجابه: على الستر، فأصدر عبد الناصر قراراً في اليوم التالي بتأميم الستر.⁽²⁷⁾

ثانياً: استخدم النكتة لمواجهة النظام السياسي ومحاولة إظهار الرفض:

النكتة السياسية أحد أشكال المقاومة، فالمجتمعات التي ينعلم فيها وجود منابر ديمقراطية وتسود فيها شمولية ممارسة الدولة لسلطتها، باسم الشعب أحياناً وباسم رموز تاريخية أو دينية أحياناً أخرى، تنزع إلى إنتاج أشكال وأساليب مقاومة لكسر المحظور، وفتيت التابوهات، فتظهر النكتة السياسية. ويحدث هذا حتى في المجتمعات العريقة في الديمقراطية والحريات الفردية، مع ملاحظة ندرة إنتاج النكتة السياسية في المجتمعات الديمقراطية وسيطرة النكتة

²⁵ - قاسم حسن صالح، النكتة.. وسيلة المكبوتين لقهر القهر- تحليل سيكوسوسيولوجي، مصدر سابق.

²⁶ - إدريس ولد القابلة، في النكتة السياسية، متاح على الموقع الإلكتروني:

<https://www.diwanalarab.com>

²⁷ - النكتة السياسية... سلاح الشعوب ضد الحكام ووسيلة الأنظمة للتأثير في الناس، متاح على

الموقع الإلكتروني: <https://raseef22.net/article/143588>

الاجتماعية الأخلاقية.⁽²⁸⁾ مثال ذلك من النكت التي أطلقها الروس ضد ستالين "إن البوليس أمسك أحد المتردين فسألوه: من أمك؟ قال روسيا، ومن أبوك؟ قال ستالين، وما هي أميتك؟ أن أكون يتيماً".

والأكيد أن الأنظمة الاستبدادية بصفة عامة تتعامل بالمنهج نفسه مع النكتة السياسية وإن اختلفت بعض التفاصيل والجزئيات التي تفرضها خصوصيات كل نظام شمولي، وذلك بسبب إدراك هذه الأنظمة العميق لضعف الواقع الإعلامي الرسمي وتخلفه واستناده إلى الرؤية والرواية الرسميتين، وأن النكتة السياسية هي الوسيلة الإعلامية الشعبية التي تصور الحياة السياسية بمنظور متحرر ومتجرد عن الإملاء والتبعية والتوجيه.⁽²⁹⁾

ثالثاً: تُعبّر النكتة السياسية عن مدى الوعي الشعبي بفساد النخبة السياسية الحاكمة وضرورة تغيير الأوضاع الرديئة التي يكتوي بلظاها العامة:

أدركت الأنظمة الشمولية خطورة النكتة السياسية ودلالاتها المباشرة على وعي الأوساط الشعبية التي تنشأ وتروج بينها، واهتمت بأمرها، فقد وكانت تقوم برصدها في كل فترة زمنية بغية تحديد الاتجاهات التي يسلكها تفكير الشعب وبالتالي استباق تحركاته من خلال اتخاذ إجراءات احترازية تفسد من خلالها مشاريع الجماهير الناقمة على تردي الأوضاع،⁽³⁰⁾ وهنا تظهر تأثيرات تعامل

²⁸ - النكتة السياسية... سلاح الشعوب ضد الحكام ووسيلة الأنظمة للتأثير في الناس. نفس المصدر.

²⁹ - أحمد هيات - لماذا تلجأ الشعوب إلى النكتة السياسية؟، مصدر سابق.

³⁰ - إذ منعت في سبعينيات القرن الماضي أغلب موضوعات التنكيت، وباتت المحرمات والخطوط الحمر كثيرة في مجال النكتة المنتقدة للأوضاع الاجتماعية والسياسية، فشح حينها نوع من النكت السمجة التي لا معنى لها سوى الإضحاك السخيف، وهي ما عرفت حينها بنكات (النملة والفيل) وهي سلسلة من النكات التي لا لون ولا طعم ولا رائحة لها، وربما كانت موجة النكات هذه تعكس حالة الرعب السياسي الشبيه بحالات العيش تحت ظل الأنظمة الشمولية في دول المنظومة الاشتراكية، فبات المنكث مزروباً خائفاً من مختلف الجهات. للمزيد ينظر: صادق الطائي، النكتة السياسية: تحدي الشارع ومخططات النظام، مصدر سابق.

الأنظمة مع النكتة السياسية الخطيرة على حرية الافراد في التعبير عن الرأي كما سنين لاحقاً، إذ يلاحظ زيادة حضور النكتة السياسية بقدر غياب حرية التعبير وتزيد بالتبعية درجة السخرية في النكتة وقتامتها.

من جهة أخرى قد تصبح النكتة السياسية صمام أمان للأنظمة السياسية من خلال تحويلها إلى غرفة عازلة يفرغ فيها المواطن شحنات غضبه المتراكمة وضغوطه وآلامه ومكبواته، وبناء على ذلك تُساهم النكتة في تقوية التعاون الاجتماعي على الصبر والتحمل وعدم التبرم، وكذلك تنشيط الإبداع والخيال للتعالي عن الواقع والعيش في أبراج عاجية تحميها أسوار الأحلام الحصينة، وتحقق فيها المطالب بعيداً عن عالم الواقع الدنيء الملوث برغبات النفس الأمانة بالسوء.⁽³¹⁾

وحكام العرب بلا استثناء يخشون النكتة السياسية بدءاً من جمال عبد الناصر الذي خاطب المصريين بالكف عن تداولها متهماً اسرائيل بالترويج لها مروراً بأنور السادات، إذ كانت أجهزة الأمن تجمع النكات وتدرسها، وغيرهم من الحكام العرب الكثير.

أما في العراق فلا بد من التأكيد على أن هنالك فرق كبير في النكتة السياسية زمن النظام الملكي مقارنة بالأنظمة الجمهورية الستة التي تلتها تلخصه هذه النكتة، إذ حصلت خصومة بين رئيس الوزراء توفيق السويدي والشاعر معروف الرصافي فبادر أحد وجهاء بغداد للمصالحة في مأدبة عشاء فسأل أحدهم توفيق السويدي: باشا، شنو رأيك بالدنيا؟ اجابه السويدي: والله الدنيا مو خوش دنيا، بس شنسوي، لازم الواحد يعمل معروف ويذبه بالشط ونطق كلمة معروف بإيقاع خاص. وتوجه أحدهم بنفس السؤال إلى معروف الرصافي، فأجابه قائلاً: والله الدنيا خوش دنيا.. بس توفيقنا طايح حظه!

³¹ - أحمد هيات - لماذا تلجأ الشعوب إلى النكتة السياسية؟ مصدر سابق.

رابعاً: تستخدم النكتة في الحملات الانتخابية لتأييد مرشح أو كوسيلة ضغط وآلية للحرب النفسية تجاه بعض السياسيين:

النكتة السياسية ليست فقط سلاح الشعب في الاعتراض والاحتجاج ضد نظام حكم بل وسلاح الحكومة ايضاً ضد الشعب من خلال مخابراتها واجهزتها الأمنية. ولأنها سلاح فعّال في تسقيط الآخر، فإن الحكومات تلجأ إلى ترويح نكات عن المعارضين لها للنيل من هيبتهم واعتبارهم الاجتماعي، وهي حالة صارت شائعة في كل البلدان العربية بعد النجاح الذي حققته النكتة في زمن جمال عبد الناصر بتسقيط عبد الحكيم عامر واستخدامها مؤخراً في تسقيط محمد البرادعي وحمدان صباحي.⁽³²⁾

كما استُخدمت النكتة كسلاح بين الأنظمة، فقد شهدت الحرب العراقية الإيرانية استعمالاً يصح أن نطلق عليه 'حرب النكتة' بحيث كان لم يكد يخلو البرنامج اليومي لإذاعة طهران باللغة العربية من محاولات لإثارة الفكاهة والنكتة السياسية بوسائل وأساليب متعددة، ويبدو أن الإيرانيين استفادوا من خبرتهم أيام المعارضة ضد الشاه في استعمال هذا السلاح.⁽³³⁾

وكان العديد من زعماء العالم يتابعون النكتة، لاسيما السياسية منها التي يرددوها الشارع، فمنهم من يعدّها كاستطلاع رأي لسياسته ومواقفه وتصرفاته وعاداته ونمط حياته، وآخرون اعتبروها مؤشر صعود أو هبوط شعبيتهم، إذ يقال أنه كان أكثر ما يزعج الجنرال "شارل ديغول" هو أن النكتة السياسية أو الرسوم الكاريكاتورية لم تعد تعره أي اهتمام في أواخر حكمه فقال: "لقد تدنت شعبيتي في فرنسا، فأنا لا أرى نفسي في الرسوم الكاريكاتورية ولا أسمع اسمي في النكتة التي تنتقدني."⁽³⁴⁾

³² - عمريحي احمد-النكتة السياسية وأثرها على الثورات الشعبية، المصدر السابق.

³³ - د. حميدة سميسم، الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد، ص172.

³⁴ - ادريس ولد القابلة، في النكتة السياسية، مصدر سابق.

ويرى البعض أن النكتة قد تأتي من أعلى لتصفية حسابات وصراعات في كواليس الحكم وعندما تصل إلى أسفل يضحك الناس عليها دون أن يعرفوا أصابت مَنْ؟ فالشعوب كثيراً ما تضحك دون أن تعلم، أو كثيراً ما تضحك على طريقة (الأطرش في الزفة)،⁽³⁵⁾ بل وهنالك نكت أفسدت العلاقات بين الدول وتطلبت احتجاجاً واعتذاراً رسميين، كما وقع بين مصر وإسرائيل حينما دأبت الصحف المصرية على إطلاق "نتن يا هوه"، على رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق نتنياهو، ولم تعد تشير إليه إلا بهذا الاسم، مما دفع نتنياهو تقديم احتجاج رسمي للدولة المصرية.⁽³⁶⁾ ونشير أخيراً إلى أن النكتة -بشكل عام- باتت في الفترة الأخيرة موضوعاً للدراسات العلمية في العديد من المراكز البحثية، لأنها تُعدّ قياساً لاتجاهات الرأي العام وإشارة لرؤيته للقضايا المتداولة على الساحة.

المطلب الثاني: نطاق حرية التعبير عن الرأي من خلال النكتة السياسية

أسلفنا مجهولية مصدر النكتة، وأنه لا يمكن التحكم في مصادرها ولا في وتيرة رواجها، على الأقل قبل الثورة الكبيرة في عالم الاتصالات والمعلوماتية فهي تُعبّر عن آراء ومشاعر ومواقف أصحابها من دون تحديد هوياتهم، ومن ثمة هي طريقة -بارعة- لتعبير الافراد عن الرأي مع عدم تعريضهم للمتابعة والإدانة.

والنكتة السياسية لا تعرف حدوداً سياسية ولا جغرافية. فهي تنتقل من بلد إلى بلد ومن نظام إلى نظام ومن شعب إلى شعب آخر حين تتشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فما قيل في رئيس الدولة (س) قيل في رئيس الدولة (ص) و (ع) من الدول، وفي مراحل زمنية مختلفة، ولعل

³⁵ - النكتة السياسية... سلاح الشعوب ضد الحكام ووسيلة الأنظمة للتأثير في الناس، المصدر

السابق

³⁶ - إدريس ولد القابلة، في النكتة السياسية، مصدر سابق.

السؤال المهم هل يُمكن ترتيب اثار قانونية على إطلاق النكت السياسية وتداولها؟ وما علاقتها بحرية التعبير عن الرأي؟ وما هو مصير حرية التعبير عن الرأي في حال تمكن النظام السياسي الحاكم من متابعتها وإدانة متداوليها؟

كتب جان بول ريكتر أن "الحرية تنتج النكات والنكات تنتج الحرية"، إذ أن انتشار النكتة السياسية في حلقات مفتوحة، دليل واضح على الديمقراطية فضلاً عن أن هنالك علاقة طردية بين النكتة وحرية التعبير والرأي، إذ كلما ضاقت مساحة وحرية التعبير في المجتمع ازداد انتشار النكتة وتداولها، لأنها تدور في الغالب الاعم حول تقييد حرية التعبير والقمع السياسي. بل ويُمكن ملاحظة ارتباط النكتة السياسية ارتباطاً مباشراً من حيث الظهور والانتشار بوقت الاختناقات والثورات والأزمات الاقتصادية، لأن النكات السياسية تعكس تفكير الشارع وهموم الناس وما لا يستطيعون قوله جهاراً فيقولونه همساً. ومن هنا تظهر الحاجة إلى التعريف أولاً بحرية التعبير عن الرأي قبل بيان الآثار القانونية المترتبة عليها.

يُراد بحرية التعبير عن الرأي حق الفرد في التعبير عن افكاره ووجهات نظره الخاصة سواء عن طريق ممارسة الشعائر الدينية، أم عن طريق التعليم والتعلم، أم عن طريق الصحافة أو الاذاعة أو التلفاز أو البرق أو البريد، ويضاف لها كل تلك الوسائل والوسائط الالكترونية المعروفة اليوم، والتي ساهمت بانتشار النكتة السياسية بشكل لا مثيل له.

أما العلامة (دوجي) فيعرف حرية الرأي بأنها تعني أن الدولة تعطي تأكيداً صادقاً أنها سوف لا تفرض فهماً معيناً على خلاف ما يرغبه المواطنون.⁽³⁷⁾ في حين يرى الفقيه (هوريو) أن حرية التعبير عن الرأي أساس كل ديمقراطية

³⁷ - ينظر: محمد محمد الشهاوي، الحماية الجنائية لحرمة الحياة الخاصة في مواجهة الصحافة، ط1، دار النهضة العربية، 2001، ص59.

وتتلخص فيها كل معاني الحرية، وهي الوسيلة التي تُمكن كل فرد من التعبير عن آرائه واظهارها والعمل طبقاً لوجدانه وعقيدته كمواطن ضمن حدود القانون وقد انتقد من يتحدثون عن الحريات كما لو كان يمكن فصل بعضها عن بعض في حين أنه ليس هنالك إلا حرية واحدة وأن جميع الحريات متضامنة فيما بينها وإن انتهاك احداها هو انتهاك لجميع الحريات، فماذا سيكون مصير حرية التفكير بدون الحرية الفردية وحرية التعبير عن الرأي بدون حرية الاجتماع وحرية المواطنين في اختيار زعمائهم بدون حرية نقدهم، وماذا سيكون مصير جميع الحريات دون حرية الصحافة.⁽³⁸⁾

وقد نص الاعلان العالمي لحقوق الانسان على الحق في التعبير عن الرأي⁽³⁹⁾ كما كرسته الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية،⁽⁴⁰⁾ فضلاً عن النص عليه في أغلب الدساتير المعاصرة، مثل دستور جمهورية العراق لسنة 2005 الذي نص على حرية الرأي والتعبير في المادة (38) منه "تكفل الدولة، بما لا يخل بالنظام العام والآداب: أولاً -حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل. ثانياً -

³⁸ - د. عبد العزيز محمد سلمان ومعتز محمد ابو العز ونفرت محمد شهاب، الحقوق والحريات

العامية في الدساتير العربية والفقه والقضاء والشريعة، الكتاب بدون سن طبع، ص96.

³⁹ - المادة التاسعة عشر من الإعلان تنص على "لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود".

⁴⁰ - المادة التاسعة عشرة من العهد تنص على "1. لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة. 2.

لكل إنسان حق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها. 3. تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة 2 من هذه المادة واجبات ومسئوليات خاصة. وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية:

(أ) لاحترام حقوق الآخرين أو سمعهم،

(ب) لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة".

حرية الصحافة والطباعة والاعلان والاعلام والنشر. ثالثاً -حرية الاجتماع والتظاهر السلمي، وتنظم بقانون".

ويرتبط الحق بحرية التعبير عن الرأي بشكل مباشر بالحق في الوصول للمعلومات ونشرها، ويعتمد عليه بشكل اساسي، كما يرتبط هذا الحق بحرية الصحافة، بل هو وسيلة استخدام الحق الأكثر اهمية، إذ لم تعد النكتة السياسية مما يتم تداوله سراً وشفاهاً، بل أصبحت تتداول كتابة. ولا مجال لإعادة ذكر الوظائف التي تؤديها النكتة السياسية، على الأقل في تداول المسكوت عنه والكشف عن ملفات خطيرة تتعلق بالحكم الصالح، وحكم القانون والديمقراطية، والنظام السياسي، بأسلوب بسيط ساخر.

مما تقدم تعد النكتة السياسية نوعاً من أنواع التعبير عن الرأي الذي كفلت المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية حمايته، والأصل في ممارسة حرية التعبير عن الرأي – بكل صوره، ومنها النكتة السياسية -هو السماح، والاستثناء هو التقييد، والقيود التي يمكن فرضها يجب أن يحددها القانون، أي يجب ألا تتجاوز الحدود التي رسمها القانون، كما يجب ألا تخالف النظام العام والآداب.

إلا أن دستور جمهورية العراق لسنة 2005 لم يبين المقصود بالنظام العام والآداب، ولم نجد في الفقه القانوني ما يُحدد تلك المفاهيم، إذ صيغت عبارة "لا يخل بالنظام العام والآداب" بشكل لين (مطاطي) بحيث قد يسمح بتأويله على أكثر من نحو وفقاً لهوى السلطات في الدولة، فالنظام العام مفهوم غامض ومتغير ومرن إلى أبعد الحدود، ولقد قيل بأن القواعد التي هي من النظام العام تتعلق بالمصلحة العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المرتبطة

ارتباطاً محكماً بالضمير العام. وأنه النظام العام-إنما هو شيء نسبي من ناحيتي الزمان والمكان.⁽⁴¹⁾

أما الآداب العامة، فتُعرّف بأنها مجموعة من المعايير السلوكية المعتمدة في مجتمع وزمن معينين والتي يعدها ذلك المجتمع أساسية في حفظ اخلاقية افراده والتزامهم بها في حياتهم، بحيث تبقى العلاقات بين الافراد سليمة وبعيدة عما يحط من كرامة الانسان وسمعته.⁽⁴²⁾ وتُمثل الآداب العامة "الحد الأدنى من المعتقدات والأفكار والقيم الاخلاقية التي تواتر أفراد المجتمع على اتباعها، ووجوب احترامها والتقيدها، كونها تمثل انعكاساً للأخلاق العامة، والتي تتجدد وفقاً للعادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية واحكام القضاء".⁽⁴³⁾

والمتفق عليه أن كلا من النظام العام والآداب العامة مفهومان نسبيان من ناحيتي الزمان والمكان، مما يعني أنه لا يُمكن تحديدهما تحديداً دقيقاً وواضحاً، على الرغم من ضرورة أن تبين القوانين القيود بكل دقة ووضوح، مما يسمح بتقدير النتائج المترتبة على كل عمل أو تصرف تقوم به الدولة التي فرضت هذه القيود.⁽⁴⁴⁾

⁴¹ - سعدي البرزنجي، شروط الاعفاء من المسؤولية العقدية في القانونين الفرنسي والعراقي، ط1، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، 2003، ص106.

⁴² - د. علي مجيد العكيلي و د. لى علي الظاهري، الحماية الدستورية لفكرة النظام العام، ط1، المركز العربي للنشر والتوزيع، 2018، ص93.

⁴³ - د. سعاد الشرقاوي، القانون الاداري، دار النهضة العربية، 1983، ص22.

⁴⁴ - د. محمد احمد الميداني، حرية التعبير والرأي في الاتفاقيتين الاوروبية والامريكية لحقوق الانسان، المجلة العربية لحقوق الانسان، العدد (4) عام 1997، اصدارات المعهد العربي لحقوق الانسان - تونس-ص95.

على ما تقدم تنأى النكتة السياسية عن المساءلة في حال مجهولية مطلقها (مخترعها) في أغلب الأحوال، إلا أن لمتداولها شأن آخر، وعليه يُمكننا التمييز هنا في إطار المسؤولية أو الآثار المترتبة على النكتة ما بين:

الفرع الأول: مسؤولية مخترع النكتة:

ونميز في هذا الصدد بين مخترع النكتة المجهول والمعروف، والحق تنتفي المسؤولية ابتداء في حال كان مصدر النكتة أو مخترعها مجهولاً، وكانت النكتة عامة أي مجرد نكتة عادية ولا تُطلق ضد شخص أو أشخاص معينين، فهي ليست فعلاً مجرماً من الناحية القانونية، والعكس صحيح، أي في حال كان مصدر النكتة معلوماً وكانت تهدف إلى التجريح والتحقير في شأن شخص أو أشخاص معينين، فتصبح فعلاً مجرماً، أي تتحول إلى جريمة سب وقذف، وهذا هو الغالب-مع الإشارة إلى امكان استناد السلطات إلى هذا التوصيف في حال ارادت تضيق الخناق على الافراد ومنعهم من استخدام حقهم في التعبير عن الرأي واطلاق النكات السياسية، أي ادعاء أن الفعل يُشكل سباً أو قذفاً.

وقد نص قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 في المادة 225 على أن يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس من اهان بإحدى طرق العلانية رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه"، وفرض عقوبة مماثلة - مضافاً لها الغرامة - كل من أهان مجلس الأمة أو الحكومة أو المحاكم أو القوات المسلحة أو غير ذلك من الهيئات النظامية أو السلطات العامة أو المصالح أو الدوائر الرسمية أو شبه الرسمية. كما فرض عقوبات على السب والقذف في المادتين 434 و435 مع التمييز بين السب العلني أو بطريق النشر في الصحف أو المطبوعات أو بإحدى وسائل الاعلام الذي يُعدّ ظرفاً مشدداً، والسب والقذف في مواجهة المجني عليه من غير علانية أو في حديث تلفوني معه.

أما مشروع قانون جرائم المعلوماتية -الذي أثار من الجدل الكثير- فقد وضع في المادة (22/ثالث) منه عقوبة للسب والقذف الذي قد يحصل إلكترونياً، بأن فرض عقوبة الحبس مدة لا تزيد على سنتين وبغرامة لا تقل عن ثلاثة ملايين دينار ولا تزيد عن خمسة ملايين دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين على كل من استخدم أجهزة الحاسوب وشبكة المعلومات في نسبه للغير عبارات أو صور أو أصوات أو أية وسيلة أخرى تنطوي على القذف أو السب.

ولعل ما تقدم ليس مما يُثير الاضطراب، إذا ما وضعنا في الحسبان مجهولية مصدر النكتة السياسية غالباً، وأنها عابرة للحدود وللزمان والمكان ومن ثم يصعب الوقوف على مصدرها في اغلب الأحوال، أن لم نقل جميعها، إلا ما ندر بسبب التطورات التقنية والمعلوماتية على الأقل.

الفرع الثاني: المسؤولية عن تداول النكتة:

أسلفنا أن الحق في الوصول للمعلومة والحق في حرية تداولها حقوق ترتبط بالحق في التعبير عن الرأي ولا تنفصل عنه، فلا يمكن التمتع بالحق في حرية الرأي والتعبير وممارسته بكل حرية، دون أن يكون هنالك تداول وتبادل للمعلومات، بحيث يتمكن المواطنون من الحصول على مختلف المعلومات التي يريدون الحصول عليها، والمتعلقة بقضية معينة، من مصادرها المختلفة، وبلورة الآراء الخاصة بهم والتعبير عنها بكل الوسائل، ولا يستثنى منها امكان تداول النكت السياسية، ولكفالة هذه الحقوق التي تندرج تحت الحق في حرية الرأي والتعبير، يجب أن يكون هنالك اعتراف دستوري وقانوني بحق الآخرين في المعارضة، وفي وجود تعددية سياسية، تتمتع بحق ممارسة نشاطاتها.⁽⁴⁵⁾

⁴⁵ - المركز الفلسطيني لحقوق الانسان، دراسة في حرية الرأي والتعبير والحق في التجمع السلمي في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية-الضفة الغربية وقطاع غزة 1 يونيو 2003 وحتى 1 اغسطس 2004-سلسلة الدراسات (6) ص6.

وإذا كان تداول النكتة السياسية يُعدّ نوعاً من أنواع حرية التعبير عن الرأي، فإن الأصل فيها الحرية لا التقييد كما أسلفنا، إلا فيما يتعلق بعدم مخالفة النظام العام والآداب. ومن ثم تضع التشريعات تلك الضوابط بهيئة نصوص عقابية، لكل من يتجاوزها.

وأغلب التشريعات تُعاقب على النشر إذا تضمن مساساً بالمصلحة العامة أو مساساً بالمصلحة الخاصة للأفراد -وينطبق هذا برأينا على صحافة المواطن⁽⁴⁶⁾ باعتبارها ميدان مفتوح لتداول النكت السياسية - إذ يلعب الافراد دوراً نشيطاً في عملية جمع ونقل وتحليل ونشر وتداول الأخبار والمعلومات عبر مختلف أدوات شبكة الإنترنت ووسائلها المتنوعة، ويتم تصنيف هذا النشاط ضمن الأنشطة المُواطنية والمدنية التي يهدف من ورائه صاحبه إلى تطويع المهارات التي يملكها في مستوى النشر والتدوين من أجل تبليغ صوت النَّاس والتشهير بالفساد والممارسات المخلة بقيم الحوكمة الرشيدة والديمقراطية، ولفت نظر المسؤولين إلى القضايا التي تهمّ الناس على المستوى المحلي، ومن اهم وسائلها تداول النكت السياسية، وقد ساهم الجيل الثاني للويب في انتشار ثقافة التدوين على شبكة

⁴⁶ - وهي معروفة أيضا بالصحافة العامة أو التشاركية، أو الديمقراطية أو صحافة الشارع صحافة شعبية، هو مصطلح يرمز لأعضاء من العامة يلعبون دورا نشيطاً في عملية جمع ونقل وتحليل ونشر الأخبار والمعلومات عبر استخدامات صحافة الإنترنت ووسائلها المتنوعة، وقد يكون بروز ظاهرة صحافة المواطن كشكل جديد من أشكال الممارسات الصحافية غير المهنية هو التحول الأبرز الذي حصل خلال العقد الأخير على مستوى الإعلام. وقد كان ولا زال يُشار إلى هذه الظاهرة الإعلامية باستعمال مصطلحات متنوعة من قبيل "الصحافة التشاركية"، و"الإعلام مفتوح المصادر"، و"الإعلام الديمقراطي"، و"صحافة الشارع"، و"الإعلام البديل"، و"الصحافة الشعبية"، إلى غير ذلك من التسميات والمصطلحات.

الانترنت، من خلال ظهور منصّات عديدة للتدوين الحر فضلاً عن بداية ظهور شبكات التواصل الاجتماعي الأكثر انتشاراً على غرار موقع فيسبوك.⁽⁴⁷⁾

ويُعاقب قانون العقوبات العراقي على جرائم النشر، إذ يجب أن تمتنع الصحافة عن نشر أي خبر أو معلومة أو أمر من شأنه المساس بالأمن الداخلي للدولة كالتحريض على قلب نظام الحكم وتجنيد وترويج المذاهب التي ترمي إلى تغيير مبادئ الدستور الاساسية أو النظم المنصوص عليها في المادة (200/ 2) منه، وجريمة تحريض الجنود على الخروج عن الطاعة المنصوص عليها في المادة (199) من نفس القانون، وجريمة التحريض على بغض أو كراهية طائفة من الناس المنصوص عليها المادة (200) من نفس القانون،⁽⁴⁸⁾ فضلاً عن تجريم المشرع العراقي إهانة أي معتقد ديني معترف به رسمياً في المادة (210) منه، واخيراً تجريم إهانة الرمز أو الشخص موضوع التقديس لدى طائفة دينية في المادة (372) منه.

ومن الطريف أن اغلب النصوص المتقدمة والتي وضعت منذ عام 1969 تمت اعادتها للحياة بموجب مشاريع قوانين كان يجب أن تحاكي -كما نفترض - ما يشهده العالم اليوم من ثورة تقنية ومعلوماتية، إذ وضع مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقي العديد من النصوص الشديدة بشأن التداول والنشر وجاء بنصوص مطاطة غير قابلة للتحديد، بل يمكن استغلالها لقمع حرية التعبير عن الرأي إلكترونياً بأبشع الصور، مثل المادة (6) منه والتي تنص على "يعاقب بالسجن المؤبد أو المؤقت وبغرامة لا تقل عن خمسة وعشرين مليون دينار ولا تزيد على خمسين مليون دينار كل من استخدم أجهزة الحاسوب وشبكة

⁴⁷ - للمزيد ينظر: وليد الماجري، دليل المواطن الصحفي، مركز تطوير الاعلام، تونس، 2019، ص 12 وما بعدها.

⁴⁸ - د. سعد ابراهيم الاعظمي، الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي، دراسة مقارنة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989، ص 9 وما بعدها.

المعلومات بقصد اثاره العصيان المسلح أو التهديد بذلك أو الترويج له أو اثاره النعرات المذهبية أو الطائفية أو الفتن أو تكدير الامن والنظام العام أو الإساءة إلى سمعة البلاد،⁴⁹ أو نشر أو إذاعة وقائع كاذبة أو مضللة بقصد اضعاف الثقة بالنظام المالي الالكتروني أو الأوراق التجارية والمالية الالكترونية وما في حكمها أو الاضرار بالاقتصاد الوطني والثقة المالية للدولة.⁵⁰

في حين فرضت المادة (21/ثالثاً) عقوبة الحبس مدة لا تقل ع سنة وبغرامة لا تقل عن مليوني دينار ولا تزيد على خمسة ملايين دينار كل من اعتدى على أي من المبادئ والقيم الدينية أو الأخلاقية أو الاسرية أو الاجتماعية أو حرمة الحياة الخاصة عن طريق شبكة المعلومات أو أجهزة الحاسوب باي شكل من الاشكال".

أما مشروع قانون حرية التعبير عن الرأي والاجتماع والتظاهر السلمي فقد افرد جانباً كبيراً منه لقمع حرية التعبير عن الرأي من خلال مدخل الدين والطائفة، خاصة مع النصوص المطاطة التي وردت فيه والتي تُمكن السلطات من إدخال أي نكتة سياسية ضمن مفردة من هذه المفردات ومن ثم التجريم إذ حظرت المادة (5) منه الدعاية للحرب أو الاعمال الإرهابية أو الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية أو الطائفية، والطعن في الأديان والمذاهب والطوائف والمعتقدات والانتقاص من شأنها أو شأن معتنقها. كما نصت المادة (13) منه على عقوبة السجن مدة لا تزيد على 10 سنوات لكل من اذاع عمداً دعاية للحرب أو الاعمال الإرهابية أو الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية أو الطائفية. وعقوبة الحبس مدة لا تقل عن (1) سنة واحدة وبغرامة لا تقل عن مليون دينار ولا تزيد على عشرة ملايين لمن اعتدى بإحدى الطرق العلانية على

⁴⁹ - المادة (6/أولاً) من مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقي.

⁵⁰ - المادة (6/ثالثاً) من مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقي.

معتقد لأحدى الطوائف الدينية أو حقر شعائرها، أو أهان علناً نسكاً أو رمزاً أو شخصاً موضع تقديس أو تمجيد أو احترام لدى طائفة دينية، أو قلد علناً نسكاً أو حفلاً دينياً بقصد السخرية منه.

الخاتمة

تأخذ النكتة في أي مجتمع دوراً مهماً في حياة الأفراد، وهي أحد أشكال النقد المستمر، في الخفاء أو في العلن، بطريقة تفرغ غضب مجتمعي على واقع سياسي سيء. وتختلف طبيعة النكتة باختلاف المستوى الثقافي في المجتمع الواحد، كما أنها مرآة عاكسة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الخاصة بهذا المجتمع أو ذاك.

ويُقال انه يُمكن فهم قيم مجتمع ما ومعتقداته من خلال النكت المتداولة في فترة ما، فالنكتة تُمثل إحدى الركائز لفهم المجتمعات والجماعات الإنسانية فمن جهة يُمكن اعتبارها مرآة صادقة لما تحمله تلك الجماعات من قيم ومعتقدات وممارسات وتصرفات، ومن جهة أخرى تكشف، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، عن الجوانب الخفية للمجتمع سواء أكانت في شكل مواقف أو تطلعات أو رغبات مكبوتة، فالمجتمعات التي تتبادل النكات بشكل لاذع ونقد قاسي تتأثر بواقع حياة قاس، وقسوة أنظمة الحكم فيها.

والنكتة السياسية تنشأ على مهل وفي الخفاء، خاصة في الأنظمة المستبدة، أي أنها لا تنشأ مباشرة بل تخشى في البداية تجاوز الخطوط الحمراء المفروضة من قبل المجتمع، كما تخشى التصادم مع القوة المسيطرة (سياسياً) لكن لمجرد شعور الإنسان بنوع من الحرية المسموح بها ولو كان ضئيلاً تتسع الرقعة إلى ما لا نهاية، حتى تصل إلى جوهر العمق السياسي. فالشعوب تلجأ للنكتة السياسية لمواجهة الكبت المجتمعي والقمع السياسي والأوضاع

الاقتصادية الصعبة، وقد ساعد في ذلك الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي وظهور المواطن الصحفي.

ونعتقد أن النكتة كفكرة النظام العام فكرة غير محددة، وهي فكرة مرنة نسبية، ومتغيرة في الزمان والمكان، وهي تتلون في كل زمان على وفق المزاج الثقافي والنفسي لكل شعب. ومن ثم يُمكن القول "قل لي نكات مجتمع ما أقل لك من هو وكيف يعيش".

وبذلك يمكننا القول إن النكتة السياسية هي وجه آخر للمقاومة الثقافية في مجتمعات القمع والاحتقان، لا سيما في ظل غياب أي أفق لأي حل سياسي أو تحسن اجتماعي واقتصادي. ولهذا لا عجب أنها أصبحت أيضاً في كثير من الدول جريمة يمكن أن تؤدي للسجن أو الملاحقة أو المساءلة بوصفها آلية تحريضية تدعو للحرية والخلاص من الأنظمة والديكتاتوريات، كما بينا في ثنايا البحث. على الرغم من أن لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنبياء والأفكار وتلقمها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.

واستحضر ختاماً قولاً للفيلسوف جون ستيوارت ميل -وهو من أوائل من نادوا بحرية التعبير عن أي رأي مهما كان هذا الرأي غير اخلاقي في نظر البعض - "إذا كان كل البشر يمتلكون رأياً واحداً وكان هنالك شخص واحد فقط يملك رأياً مخالفاً فإن اسكات هذا الشخص الوحيد لا يختلف عن قيام هذا الشخص الوحيد بإسكات كل بني البشر إذا توفرت له القوة".

المصادر

أولاً: معاجم اللغة:

1. الشيخ احمد رضا، معجم متن اللغة - موسوعة لغوية حديثة، المجلد الخامس، دار مكتبة الحياة بيروت، 1960.
2. ابي نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009.
3. جبران مسعود، الرائد الصغير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.
4. مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
5. The Oxford English – Arabic dictionary, oxford university press, 1972.

ثانياً: الكتب العامة:

1. المركز الفلسطيني لحقوق الانسان، دراسة في حرية الرأي والتعبير والحق في التجمع السلمي في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية-الضفة الغربية وقطاع غزة ا يونيو 2003 وحتى 1 اغسطس 2004-سلسلة الدراسات (6).
2. جان ماري ديران، التخريب الرمزي للسلطة، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1981.
3. د. حامد ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية-حول عملية البناء الفكرية لأصول علم الحركة الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة.
4. د. حميدة سميسم، الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد.

5. سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، المؤلفات الأساسية للتحليل النفسي، دار المعارف، القاهرة، الكتاب بدون سنة نشر.
6. د. سعاد الشرقاوي، القانون الاداري، دار النهضة العربية، 1983.
7. د. سعد ابراهيم الاعظمي، الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي، دراسة مقارنة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989.
8. د. سعدي البرزنجي، شروط الاعفاء من المسؤولية العقدية في القانونين الفرنسي والعراقي، ط1، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، 2003.
9. د. عبد العزيز محمد سلمان-معتز محمد ابو العز-نفرت محمد شهاب، الحقوق والحريات العامة في الدساتير العربية والفقہ والقضاء والشريعة، الكتاب بدون سنة طبع.
10. د. علي مجيد العكيلى و د. لى علي الظاهري، الحماية الدستورية لفكرة النظام العام، ط1، المركز العربي للنشر والتوزيع، 2018.
11. د. محمد احمد الميداني، حرية التعبير والرأي في الاتفاقيتين الاوربية والامريكية لحقوق الانسان، المجلة العربية لحقوق الانسان، العدد (4) عام 1997، اصدارات المعهد العربي لحقوق الانسان -تونس.
12. محمد محمد الشهاوي، الحماية الجنائية لحرمة الحياة الخاصة في مواجهة الصحافة، ط1، دار النهضة العربية، 2001.
13. وليد الماجري، دليل المواطن الصحفي، مركز تطوير الاعلام، تونس، 2019.
14. Sigmund Freud, Jokes and Their Relation to the Unconscious, 1905, online books.

ثالثاً: المواقع الالكترونية:

1. عمريحي احمد-النكتة السياسية وأثرها على الثورات الشعبية -الثورة المصرية دراسة حالة- الحوار المتمدن-العدد: 4904 -2015 / 8 / 22، متاح على الرابط الالكتروني:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=481588>

2. د. قاسم حسن صالح، النكتة.. وسيلة المكبوتين لقهر القهر-تحليل سيكوسوسيولوجي، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://almadaper.net/view.php?cat=211190>

3. صادق الطائي، النكتة السياسية: تحدي الشارع ومخططات النظام، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://www.alquds.co.uk>

4. أحمد هيمات -لماذا تلجأ الشعوب إلى النكتة السياسية؟ متاح على الرابط الالكتروني:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2017>

5. هاني العزيبي، النكتة السياسية، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://www.ammonnews.net/article/21087>

6. ادريس ولد القابلة، إدريس ولد القابلة، في النكتة السياسية، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://www.diwanalarab.com>

7.النكتة السياسية... سلاح الشعوب ضد الحكام ووسيلة الأنظمة للتأثير في الناس، متاح على الموقع الالكتروني: <https://raseef22.net/article/143588>

رابعاً: التشريعات والمواثيق الدولية:

- 1.الإعلان العالمي لحقوق الانسان لسنة 1948.
- 2.العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966.
- 3.دستور جمهورية العراق لسنة 2005.
- 4.قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969.
- 5.مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقي.
- 6.مشروع قانون حرية التعبير عن الرأي والاجتماع والتظاهر السلمي.